مفاجأة مع الفجر

- ذهب الملك... تحيا القيادة!
- أسلحة جديدة لتضليل الشعب.
- هل هم من جماعة الأخوان ؟
- أثنا عشر ملكا بدلا من فاروق
- الانحناء دائما سياسة سادة الموقف
- الثورة الرشيدة لا تقبل وحماية من أحد

www.anwarsadat.org

أن أحدا لم يكن يتوقع شيئا عندما نام ليلته في نهاية اليوم الثاني والعشرين من شهر يوليو عام 1952، فلما اصبح الصباح كان الناس في شبه ذهول.فقد توالت الأحداث منذ الفجر علي صورة لم يألفها هذا الشعب ولا كانت تستطيع أن تطوق بخياله، بعد أن تاهت منه أحلامه وآماله، في ظلمة الأيام وسواد الليالي، طيلة أشهر ستة ثقيلة مرة...

رأى كفاحه المسلح من أجل حريته، ينتكس فجأة يوم 26 يناير....ورأي مدينته العزيزة تشتعل بالنار التي انطفأت في اليوم نفسه من معسكرات أعدائه... ورأي أبناءه الذين ذهبوا يذودون عن شرفه وحريته، يعودون إلي المدينة مكبلين بالأغلال، ليقضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل... ثم رأى نفسه، وقد أصبح في نظر الحاكمين خطرا داهما علي أرضه، ووطنه ومدينته، فألزموه البيت كلما جاء المساء، عقابا له علي انطلاق آماله، وإلزاما له بالتكفير عن خطاياه...

ورأي الإشاعات والمخاوف تملأ الجو من حوله، حلقات الخيانة والدسائس تحيط بحياته، وخمسا من الوزارات تتابع علي مقاعد حكمه العرفي، لم يعرف لماذا آتت، ولا لماذا ذهبت ولكنه لعنها جميعا في سره وفي علنه...وما كان يملك غير هذه اللعنات، وقد سلب القدرة علي العمل، وسدت في وجهة منافذ الآمال...

وفجأة، وبدون آيه مقدمات، تحرك الجيش وتوالت الأحداث وفي صباح 23 يوليو، كان الناس بين مصدق ومكذب.. كانت الفرحة تشملهم،ولكنها فرحة تشوبها المخاوف، وتنتابها الظنون والتكهنات لابد البيان الذي طلع عليهم لم يشف نفوسهم، ولم يضئ أمامهم كل المصابيح وجاء الأصدقاء إلي القيادة، ونفوسهم تحترق علي مصيرنا، إذا نحن لم نجهز علي الملك، وإّذا نحن حصرنا هذه الضربة في نطاق الجيش وحده، كما فهموا من البيان...

وأخذوا يذكرون الفساد والاستهتار وما آلت إليه البلاد من فوضئ سياسية وخلقية ومعنوية...ويطالبوننا بالعمل الكبير الحاسم قبل أن تضيع الفرصة، وتفلت الآمال...

وكان هؤلاء جميعاً أصدقاء... مجرد أصدقاء شبانا مخلصين... ولم يكن بينهم واحد فقط من رجال السياسية وقتذاك...

ومضي يوم 23

ومضي يوم 24

ومضي يوم 25

مرت هذه الأيام الثلاثة، ولم نسمع فيها كلمة من سياسي واحد، ولم نر فيها وجها لسياسي واحد...

لقد لزم فيها جميع السياسيين بيوتهم، واعتصموا بالصمت والحذر. فلم يتحرك منهم الا أولئك النفر الذين ظنوا أن الملك باق علي عرشه. فهرعوا يقيدون أسماءهم في سجل التشريفات... يوم 24.

وجاء يوم 26

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم، وكان قد عرف في دوائر السياسة أن فاروق قد وقع التنازل وأنه بسبيل مغادرة البلاد في الساعة السادسة، حتى وقعت المعجزة.

وكانت المعجزة، هي خروج السياسيين من جحورهم، وتقاطرهم علينا وفود، وفود من السياسيين، من جميع الألوان والمذاهب والاتجاهات.تطرق أبوابنا في مقر القيادة بثكنات مصطفي باشا، ابتداء من الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليوم...

جاءوا ألينا جميعاً، حتى أولئك الذين قيدوا أسماءهم قبل ألامس...ولاء وإخلاصا في سجل تشريفات الملك...

ولم يضيع السياسيون وقتا بعد ذلك...

فمنذ الصباح في يوم 27، بدأت كل هيئة سياسية، بل بدأ كل سياسي في هذا البلد، يعد نفسه لمعركة جديدة يحلم فيها بدور البطل...

لا شئ قد تغير، في نظرا السياسيين والهيئات السياسية.

لا شئ، ألا اختفاء شخص الملك، وظهور أشخاص رجال القيادة... كان لسانهم الناطق يقول: ذهب الملك تحيا القيادة!!

وهذا التغير الشكلي، قد يستتبع تغييرا في الأساليب، وتجديدا في أسلحة السياسة، ولكنه لا يستتبع أبدا،تغييرا في الهدف... الهدف الرئيسي لاحتراف السياسة منذ وجد في مصر محترفوها...

ومثلما خاض السياسيون المعارك تحت أقدام فاروق في سبيل الوصول إلي أسـلاب الحكم ومغانمه بدأوا منذ اللحظة الأولى لطرده يخوضون معركة جديدة، يقتسمون فيها هـذه الأسلاب والمغانم...

وكان لابد أن يختار كل منهم سلاحا جديدا يناسب لون المعركة الجديدة... وكان لابد أن يكون السلاح براقا أمام أسلحتهم القديمة...

وكان هذا البريق، هو المنطق المعقول الذي يحاولون الدخول به إلي الأذهان.فإذا مـا انفتحت عقول الناس لهم، اكملوا القصة بأكاذيب وأراجيف تعودوا صياغتها، لكي يصلوا إلي ما يبتغون.

وكانت عقول الناس فعلا، مهيأة لقبول آي منطق معقول...

وقد رأي الناس أشياء لم يستطيعوا فهمها، وسمعوا عم أسماء لا يعرفون عـن أكثـر أصحابها شيئا، وترددت في آذانهم إشاعات لا يستطيعون تكـذيبها لان الحقـائق لا تـزال مستورة عن عيونهم.

كان الناس يريدون أن يعرفوا من أمر هذه الثورة ومن أمر الرجال الذين يقودونها كل شئ.

كانوا يريدون أن يعرفوا من نحن وأين كنا وكيف اجتمعنا ومتي اجتمعنا كيف اعددنا خطتنا وما هي تفاصيل هذه الخطة وكيف نفذناها وماذا ننتوي... وهل لدينا مشروعات معدة وماذا يدور في رءوسنا وماذا سوف نصنع... وكيف نجحنا...؟

هل من ورائنا قوة معينة... وما هي هذه القوة..؟

هل في صدورنا اتجاه معين... وما هو هذا الاتجاه...؟

أسئلة كثيرة كانت تدور برءوس المصريين جميعا ولم يجدوا لها جوابا منا.. ولكـن.. كانت الإشاعات تجيب..!

وانطلقت أول إشاعة تقول أن هذه الثورة، ثورة اخوانية يقودها ويوجهها مـن وراء الستار الأخوان المسلمون.

وكانت هذه الإشاعة تطوف بالناس وبين يديها دليل يؤكد صدقها...

فقد كان أول أجراء اتخذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم في إزالة آثار المـــضي البغيض، ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل، وهو الأمر الذي صدر بإعادة التحقيق فـــي قضية مقتل المرحوم حسن البنا، مرشد الخوان المسلمين.

ولم يقل الناس أن هذا مصري قد قتل بليل، و أحاطت بالتحقيق في مقتلـــه، ظـــروف مريبة، واتخذت فيه إجراءات شاذة...ثم طوي علي سر دفين، وقاتل مجهول.. لم يقل الناس هذا ولم يقولوا أن من حقهم كمصريين أن يعاد التحقيق في هذه الجريمة المنكرة وأن يؤخـــذ جناتها بالقصاص...

ولكن قالوا، أن خلف الثورة، جماعة الأخوان المسلمين..

وبدأ بعد ذلك تساؤل كثير...

أن كانت هناك صلة بين هذه الثورة، وبين الأخوان المسلمين...فمتي بدأت!

وإلي أي مدي وصلت؟

وماذا كانت أهدافها؟

وماذا أنتجت؟

وهل استمرت، أم انقطعت؟

وفي جملة واحدة

ما هي قصة الثورة مع الأخوان المسلمين؟

سؤال واحد، يعود بالذاكرة إلي أثني عشر عاما قبل ظهور هذه الثورة ..إلـــي عـــام 1940 عندما بدأت قصتنا مع الأخوان.

وهذه القصة لا يعرفها المصريون، ولابد جمهرة الأخوان ولا يعرفها العدد الأكبر من رجال قيادة الأخوان.. وكل ما يعرفه المصريون هو ما ذاع من إشاعات بعد ذلك بأيام.

ومع ذلك... فليس هذا هو كل ما لابس هذه الثورة من مظاهر، ومن إشاعات.. ومن محاولات...

فقد كان هناك الوفد أيضا...

وللوفد أيضا قصة مع هذه الثورة قصة لا يعرفها المصريون...ولا يعرفها أيضا عدد كبير من رجال الوفد أنفسهم.

فالناس لا يعرفون أن اتصالنا بالوفد قد بدأ قبل ظهور الثورة بـــزمن طويـــل .. ولا يعرفون أننا في وقت من الأوقات قد وضعنا خطتنا علي أساس أن نأتي بالوفد ونفرضه علي فاروق، كشرارة أولي للثورة، ثم نكمل نحن التنفيذ الخطر.

لا يعرف الناس شيئا من كل هذا، ولا يعرفون كيف تخاذل الوفد عن القيام بدوره في هذه الخطة، ولا لماذا...

ولكن هذا كله يعرفه زعماء الوفد... الذين حاولوا بعد يوم 27 يوليـــو أن يفرضـــوا وصايتهم علي الثورة...وأن يمهدوا لهذه الوصاية بسيل كبير مـــن الإشـــاعات والروايـــات، والمظاهر... وأن يحاولوا خلق أمر واقع يحيطون به الثورة ويلبسونها لم تفكر فيه يوما من الأيام!!

وقد بدأ هذا بمجرد عودة مصطفي النحاس وفؤاد سراج الذين من الخارج في الأسبوع الذي تلا طرد فاروق.

عاد الرجلان... فعاد النشاط إلي أقصاه في صفوف الوفد الاجتماعات المتتالية تعقد...

ومندوبو الصحف يسهرون الليالي في جار الزعامة....

وأعمدة الصحف تمتلئ كل يوم بالأخبار والأسرار والتكهنات والقرارات الخطيرة التي يتخذها رجال الوفد..!

وعاد الشباب الوفدي فورا. يملأ ردهات النادي السعدي، وعاد الهمس وعادت الهتافات وسارت الإشاعات، تشكل الوزارة، وتملأ المناصب الهامة في الدولة، وتتكهن بالمستقبل وتحدد تواريخ الأحداث الخطيرة المقبلة.

وسمع الماس أيضا هذه الإشاعات... ثم لم يسال أحد منهم له سؤالا واحدا، يستطيع أن يقضي عليها...

لماذا عاد النحاس وسراج الدين من مصيفهما بأوربا عقب الثورة مباشرة.

أيمكن أن يكون الزعيمان الكبيران قد ارتحلا إلي أوربا أبان أعنف الآن السياسية التي وقعت في تاريخ مصر... وخلال أحلك الليالي التي مرت بشعب مصر، منذ احترقت القاهرة، واضطربت كل موازين الحكم فيه أيمكن أن يكون الرجلان قد سافرا إلي أوربا ليفكرا هناك بهدوء فى أمر الشعب الذي يزعمان زعامته، وهذا البلد الذي حطمه الخراب والطغيان.

لماذا يتركان البلاد في محنتها، فلا يعودان إليها إلا يوم يترامي إلي أسماء حديث الثورة، فينبه فيهما شهوة جائعة إلي الغنيمة،وقد ظنا أنه أصبحت سهلة بلا حواس؟!

ولكن سؤالا كهذا لم يطف بخاطر أحد ممن سمعوا إشاعات الوفد تنطلق في كل يوم...

وبينما كان الناس في دوامة الإشاعات كان سراج الدين يعد خطة الاستيلاء علي الغنيمة...

وكانت خطة الوفد فذة في نوعها...

فقد بلغ النشاط الوفدي أقصاه، وملأت الإشاعات جميع الآذان إشاعات أن الوفد قد سيطر علي الموقف تماما، وأن قادة الثورة قد أيقنوا أنه لا سبيل لهم إلي تحقيق أي هدف من أهداف الثورة. ألا إذا احتضن الوفد هذه الأهداف...

وكانت عودة النحاس وسرج الدين من الخارج عقب الثورة مباشرة والزيارة التي قام بها النحاس إلي الرئيس في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، من الدعائم القوية التي استندت إليها هذه الإشاعات لتصل الناس في صورة الحقائق الثابتة المقررة.

ولم يبق أمام الوفد ألا أن يقنعنا نحن أيضا بصحة هذه الإشاعات أطلقها.. عنا!

كان الوفد في هذه المرة يسير وفق خطة علي درجة طيبة من الأحكام فكان ما نسمعه من فؤاد سراج الدين هو نفس ما نسمعه من الشباب الوفدي جميعا علي اختلاف ثقافتهم وألوانهم...

وكان الهدف من هذا النشاط والهتافات والإشاعات والتحركات، هو أشعار البلد أولا بأن الوفد يضع خطة المستقبل بوصفه حزب الأغلبية الذي يمثل الشعب وبوصفه القوة الحقيقة التي تستطيع هذه الثورة أن ترتكز عليها، ولا تستطيع أن تعمل شيئا بدونها...

كان الوفد يريد أن يجعل من هذه الدعوى أكرا واقعا، لكي يتسلل ألينا بعد ذلك ، ويواجهنا بهذا الأمر الواقع: أن القاعدة الشعبية الوحيدة في البلاد، هي قاعدة الوفد،وأننا لا نستطيع أن نعمل دون الارتكاز عليها!..

وفي صباح يوم من أيام أغسطس 1952، أي بعد الثورة بأسبوعين تقريبا، أيقظوني من نومي في منزلي لكي أقابل ضيفين يطلبان مقابلتي لأمر خطير..

فدخلت غرفة الاستقبال، فوجدت زميلين من زملاء المعتقل...

وكان طبيعيا أن نتذاكر شيئا عن الماضي الذي جمعنا في معتقل واحد في عهود الظلم والإرهاب...

ولكنني أحسست أنهما قد أعدا حديثهما، ورتباه ونمقاه، حيث يلقي كل منهما حلقة من حلقات الحديث فيتبعها زميله بحلقة أخري، تكملها في نفس الاتجاه وفي صورة الكلام العرضي الذي يجلب بعضه بعضا دون تحضير!

ودخلا فى الموضوع.

قال أحدهما:

- أنت تعلم طبعا تماما أن هذه الثورة ليست ثورة الجيش،و إنما هي ثورة الشعب.. وكل مصري حريص أشد الحرص على أن تصل هذه الثورة إلي أهدافها كاملة، فنحن بهذا مسئولون جميعا مسئولية متساوية نحو الثورة..

أمنت طبعا علي هذا الدخول... فاستطرد الضيف الوفدي نحو هدفه:

- أن الكتلة الشعبية لا تتمثل في أية هيئة أو حزب في هذا البلد، ألا في الوفد... والوفد هو التنظيم الوحيد الذي يستطيع أن يسند هذه الثورة لانه هو الذي مهد لها بل هو الذي بدأها فعلاً...

و أوشك زميله أن يتم الكلام.. لولا أني استوقفته لحظة أساله فيها، كيف بدا الوفد هذه الثورة، وكيف مهد لها..؟ فقد تكون معلوماتي عن قصة الثورة وقصة والوفد معلومات ناقصة...

قال الضيف الثاني:

- ألا تعلم أن هجوم الوفد في الفترة الخيرة علي فاروق هو الذي شجع الجيش علي أن يضرب ضربته..؟ وألا تعلم أن الوفد في الفترة الأخيرة كان يعدى العدة لاعلان الجمهورية...؟ وألا تعلم أنه كان متصلا بكم فعلاً في الجيش؟

وقبل أن أحاول الإجابة... سألني ضيفي في حماس...

- كيف تولون علي ماهر الحكم، وهو الرجل الذي لا يستند إلي الشعب ولا إلي أي حزب من الأحزاب؟

واكمل صديقه قائلاً:

- أن علي ماهر رجل عاش طول حياته يدبر المؤامرات، ,وانه فى سبيل أحقاده وكراهيته لبقية الأحزاب سينحرف بالسلطة وسيستغل هذه الثورة لنفسه، ولن يظفر بأيمان الشعب به فى يوم من الأيام...

وكنت ساكتا، لأعطي الفرصة للضيفين العزيزين، فأكمل الثاني:

- أن هذه الثورة لن تستطيع أن تسير أو تحقق شيئا ما لم تستند إلي أكبر قوة سياسية في البلد وهي الوفد.... ثم أن سراج الدين علي أتم الاستعداد للتعاون معكم في كل شئ.. وأنت تعرف أنه كأن – وهو وزيرا الداخلية – يوعز لنا نحن الشباب الوفدي بالمظاهرات التي تهتف بسقوط فاروق، في نفس الوقت الذي كان فيه يتظاهر بالولاء للملك.. وتعرف أيضا أنه هو الذي كان يقود معركة القنال لولا أن الملك حرق القاهرة، لانه تبين ما يدبره له سراج الدين..

ولم أكن أنا اسمع هذا الكلام لاول مرة فقد كان هذا الكلام شائعاً في البلاد، وكان بعض الناس قد بدأ يؤمن به فعلا. ولكن كنت انتظر النتيجة التي يريد الضيفان أن يصلا إليها.

ولم تطل الجلسة أكثر من ساعة ونصف.. ولم تزد الطلبات الصديقين عن طلب واحد فقط هو أن تتم مقابلة بيني وبين فؤاد سراج الدين نتفاهم ولم يكن ما يمنع من هذه المقابلة.. وقد تمت فعلاً.. فقابلت سراج الدين، وقابل هو غيري أيضا من الزملاء.

وكانت مقابلات مثيرة.. رأينا فيها أمورا كثيرة علي حقيقتها وفهمنا ما أراده الوفد بنا وبالثورة وبالبلاد كلها...

و أكملنا بها قصة الوفد...

ولكن الناس لا يزالون يجهلونها .. بل يجهلها الوفدين أنفسهم...

وكل الذي عرفه الناس في فجر هذه الثور، هو ما أشاعه الوفدين من أنهم " أسياد الموقف، شاءت الثورة أم لم تشأ!"وما دعموا به اشاعاتهم من قصص كثيرة وروايات محبوكة عن قيام الثورة بالاتفاق مع الوفد!

كانت اسطوانة واحدة، يرددها سراج الدين كما رددها الضيفان اللذان أشرت أليهما، وكما رددها كل من لهم بالوفد صلة من الصلات...

وكنا نسمع هذا الحديث فلا نأبه به، ونكتفي بالابتسام.. فقد كنا نري أمام أعيننا مأساة خلقية من مآسي العهد الماضي، تريد أن تتخذ لها مسرحا جديدا نشترك نحن في بنائه و إخراج مسرحياته...

وكنا نبتسم أيضا. لان هؤلاء الذين كانوا يخاطبون الشعب بوصفهم " أسياد الموقف. شاءت الثورة أم لم تشأ" كانوا يتحدثون ألينا بلهجة أخري، بنفس اللهجة التي كانوا يتحدثون بها إلي فاروق.. وكانوا يهدفون من وراء هذه اللهجة إلي هدف واحد، هو نفس هدفهم في أيام فاروق: الحكم...

وكانوا في الوقت نفسه يعتقدون أنهم مناورون بارعون، أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها.

وبدأ الوفد يفصح عن نفسه أكثر أو بدأ يفضح بنفسه...بصورة ظاهرة.

بدأ بلوح لنا بسلطات فاروق أبهته وصولجانه وهي سلطات تكفي إذا وزعت علي أثني عشر رجلا، أن تجعل منهم أثني عشر ملكا لا ينقص أحدهم شئ من مظاهر الملك وسطوته...

- **واتركوا لنا بعد ذلك سياسة الحكم، وكل مسئولية..**

ثم أردف في إغراء واضح:

- **ونحن علي أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به**

وظلت هذه الجملة تتردد في أذني وقتا طويلا...

أنها نفس الكلمة التي كانت تقال لفاروق من كل رجل يأتي به الحكم البلاد باسم الشعب.

أنها الدستور الفعلي الذي جري عليه حكم مصر، منذ وجد فيها الدستور وبرلمان.. فقد كان دستور الشعب صفحات من الورق، تغطي بها النواحي الشكلية للحكم" الديمقراطي!!" في البلاد... أما الدستور القائم المعمول به، فقد كان دستور" الانحناء" كان الدستور يتلخص في هذه الجملة أنقذا " ونحن علي أتم استعداد لتنفيذ كل ما تشيرون به!!".

وهذا الدستور الذي أراده الوفد لهذه الثورة أيضا..!

هل تغير شئ في نظر السياسيين؟!

هل ثار الجيش من أجل هذا الشعب؟!

هل ثار هذا الشعب من أجل حقوقه ورفاهيته ومستقبلة؟!

أبدا.. لم يحدث أي تغير.. ألا أن شخص فاروق قد غاب، ليظهر في مكانه أشخاص رجال القيادة .. يقنعون بالمظهر البراق وصولجان الملك وسطوته.. ويتركون مسئولية الحكم للأسياد الموقف، يسوسونه، لا بما تشير به مصلحة هذه الشعب، ولكن بما تشر به نحن.. أصحاب الصولجان الجديد.

أنها سياسة الوفاق التي بدأها سراج الدين مع فاروق، أراد أن يضطلع بها معنا نحن أيضا.

آن رجال الوفد، أسياد الموقف، و أصحاب الأغلبية، والمسيطرون علي القاعدة الشعبية في البلاد، هم علي أتم استعداد لان يفعلوا باسم الشعب كل ما نطلبه نحن منهم، علي ألا نتحمل آيه مسئولية مباشرة. وهم بهذه الصفات كلها كفيلون بإقناع الشعب.. وتنفيذ رغباتنا.. نحن أصحاب الصولجان الجدد!!

أنه سياسة" ذهب الملك تحيات القيادة!" التي اعتقد السياسيون انهم قادرون علي طينا وفرض وصياتهم علينا.. والعودة إلي استلاب مغانم الحكم.. الذي لم يكن يعني في نظرهم الا الأسلاب والمغانم...

كانت البلاد في واد السياسيون الذين تزعموها جيلا كاملا في واد آخر سحيق...

كانت البلاد تفكر في أهدافها التي طال عليها انتظارها.. كانت تفكر في الوسائل العملية التي تخلصها من آلامها الطويلة وشقائها الكثير.. من الاستعمار الجاثم صدرها. من آثار الملكية البغيضة في ربوعها وفي نفوس أبنائها من الإقطاع الذي يهدد كيانها.. ولكن الزعماء لم يكونوا يريدون أن يحسوا بشيء من كل هذا كانوا يريدون أن يعودا إلي كتم أنفاس هذا الشعب وتكبيله بأغلال العبودية والفقر والمذلة، ليظلوا مسيطرين علي مصيره متحكمين في ثروته ناهبين أرزاقه وخيرات أرضه..

وكانت هذه الحقائق صدمة مروعة لنا نحن الذين أردنا في يوم من الأيام أن نفرض الوفد علي فاروق كجزء من خطة كبيرة درسناها في وقتها بإمعان و أحكام.. وعندما تخاذل الوفد عن تنفيذ دورة في الخطة، ولم نحاول تفسير هذا التخاذل بأكثر من أنه .. خوف.

ولكنه لم يكن خوفا، وكان شيئا آخر سيظهر جليا عندما يقرأ القارئ قصتنا مع الوفد!

أن قصة الثورة، قد اتصلت في فصول منها بالإخوان المسلمين واتصلت في فصول منها بالوفد..

وقال البعض أن الثورة قد أصبحت في حضانة الوفد...

وقلنا أنها صورة مصرية لمصر...

أما لماذا اتصلت بالوفد.. ولماذا اتصلت بالإخوان.. وكيف كانت هذه الاتصالات، فهذا ما تتضمنه الفصول القادمة من هذا الكتاب.

www.anwarsadat.org